

EDITORIAL

الأثر الصوتي في ظاهرتي الإعلال والإبدال

د. عباس محمد إسماعيل¹

المستخلص

هدف البحث لوضع تصوراً واضحاً ومفصلاً لأثر الصوت في المفردة، لأن كلَّ علامة لغوية تقوم على الاتحاد بين الصوت والمعنى، وإن قيمة المفردة تنبني على مدى خفتها في اللسان عند النطق بها ومن ثم معنى المفردة من حيث النظم، لأن دراسة الأصوات في ضوء وظائف اللغة أهم من دراستها في ذاتها؛ كما يهدف إلى معرفة أسرار تبديل حرف بآخر في الكلمة مع بيان أسباب الاستثقال والخفة لدى البديل. استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي. توصل البحث إلى عدد من التوصيات أهمها: أن الصوت هو الفيصل الأول في تحديد قيمة المفردة وأن تشابه مخارج الأصوات هي من أكثر أسباب الاستثقال في المفردة، وأن وضوح المفردة ينبي على الميل إلى التجانس والانسجام في الأصوات فالنسيج الصوتي في الكلمة يقوم على هذه الميزة لذا كان أحسن الأبنية عند العرب هي ما تباعدت حروفها وتنوعت أجراسها في تركيب الكلم، كما أن ظاهرتي الإعلال والإبدال تعودان إلى أصول صوتية قائمة على معرفة مخارج الحروف وأصواتها من حيث التنوع الموسيقي للمفردة بهدف الوصول إلى مدى إمكانية اللسان أدائها بسهولة. يوصي الباحث بالوقوف على جهود العرب القدماء لمعرفة أثر الدراسات الصوتية في المفردات العربية. بالإضافة لمعرفة كيفية إتلاف الكلمات واختلافها، ثم معرفة العوامل المؤثرة التي أدت إلى إتلافها أو اختلافها، وضرورة دراسة مخارج الأصوات وصفاتها.

المقدمة:

يُعد الاستثقال من أكثر أسباب وجود ظاهرتي الإعلال والإبدال وهو الأمر الناتج عن بذل جهد كبير في عملية النطق بالأصوات، لذلك يميل المتكلم إلى التقليل من الجهد المبذول بإجراء عمليات معينة تؤثر في الأصوات المنطوقة، فتقلل من الجهد المطلوب للناطق بها.

¹ أستاذ اللغويات المساعد - جامعة الجزيرة - كلية التربية - حنتوب

Email: am81641@gmail.com

EDITORIAL

" فقد رأينا أن العرب يفرون إلى الخفة ويتجنبون الثقل، فمتى ما وجدوا إلى الخفة منفذاً سلكوه واتبعوه، وإن أدى ذلك إلى عدلهم عن مقيس الكلام وطرده² ومن أهم أسباب الاستئصال :

1-التطابق أو التقارب في المخرج :

يتحقق التطابق في المخرج عندما ينطق الصوت الواحد مرتين متتاليتين فيؤدي إلى رجوع نفس المخرج مرة ثانية، أي أن عملية النطق تكرر مرتين وهذا أمر على غاية الاستئصال " إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه "وقد وضع القدماء قاعدة صوتية عامة وعبروا بها عن هذا الوضع المستثقل وهي قولهم في كراهية توالي الأمثال ، لذلك لا نجد في العربية كلمة فاؤها وعينها ، أو عينها ولامها همزتان ، فإذا جاء الأصل على ذلك عدل عنه بقلب الثانية ألفاً أو واواً أو ياءً بناء على حركة الأولى نحو آدم من (أدم) وإيمان من (إيمان) ونحو خطايا من (خطائ)."

أما التقارب في المخرج، فيكون عندما ينطق المتكلم بأصوات متقاربة المخارج، فالناطق بصوتين متقاربين في مخرجهما يتكلف مشقة وجهداً في عودة اللسان إلى موضع مقارب للموضع الذي فارقة لذلك كان اجتماع الأصوات متباعدة المخارج أكثر وأحسن تأليفاً.

" نرى العرب يعدلون عن الأصل الذي تتقارب فيه مخارج الأصوات فهم يدغمون النون الساكنة في الميم بعدها مثل " أمعى" و " أمازا" ويدغمون التاء في الثاء نحو (أثقل) ويسكنون العين في (فعل) جمعاً إذا كانت عينه واواً ، فيقولون عون ونور في جمع عون ونوار كراهية الواو بين ضميتين⁴"

2- اختلاف الصفات :

لكل صوت من الأصوات اللغوية صفات خاصة به كأن يكون مجهوراً أو مهموساً أو مطبقاً أو منفطحاً... " فالأصوات تكون مجموعات مختلفة من حيث صفاتها ، فإذا تجاور في كلمة واحدة صوتان مختلفان في صفتيهما فإن ذلك يسبب جهداً وكلفة على الناطق بها لأن لكل صفة من الصفات الصوتية وصفاً مخصوصاً⁵ إذ أتباع الأصوات المختلفة في الصفات يكلف اللسان في اتخاذ أوضاع متباينة ليتحقق النطق الصحيح للصوت ، وهذا الأمر يستثقله الناطقون فيعمدون إلى العدول عن الأصل المستثقل إلى بنية أخرى أخف وأسهل ، بحيث يتم ذلك بتغيير أحد الصوتين حتى يصبح الصوتان متماثلين في الصفات فيسهل النطق بالكلمة حينئذ لتحقيق التجانس الصوتي بين أصواتها ، ويتضح ذلك في إبدال تاء

²لطيفة إبراهيم ، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتعقيدها، ص 112

³الرضي ، شرح الشافية 38/3

⁴لطيفة إبراهيم ، المرجع السابق ص 113

⁵لطيفة إبراهيم ، المرجع السابق ص 113

EDITORIAL

الافتعال دالاً إذا كانت فاء الفعل (ذالاً أو زايلاً) فالأصل في أزهرو وأذدكر : ازهر، اذتكر ، فالتقاء التاء المهموس بالزاي والذال المهجورتين ثقيل في النطق ، فعدى هذا الأصل بإبدال التاء دالا مجهورة .

" إن كل مجموعة كلامية لابد أن تتكون من سلسلة من الأصوات التي ينتهي كل منها في الآخر في شكل انزلاقي ولا يتفق اثنان بينهما اتفاقاً تاماً لكن إذا أردنا التحليل اللغوي فإننا نتجاهل عمداً هذه الإنزلاقة الصوتية ونُدعي إمكان إيجار الحدود بين الأصوات وإمكان إخراج صوت من هذه السلسلة وإحلال آخر محله"⁶.

إن دراسة الصوت في موقعه في الكلمة وما يحدث له من تغيير في صفته العامة نتيجة لموقعه الجديد مثل النون الساكنة في التجويد القرآني تخرج من مخرجها مظهرة من غير غنة ، إذا وقعت قبل أحد الحروف الحلقية (الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، الخاء ، الغين). مثل " من آمن" منهم ، أنعمت ، عنهم... وتندغم مع الغنة إذا وقعت في آخر الكلمة ووقع في أول الكلمة التالية أحد الأصوات الأربعة (الياء ، الواو ، النون ، الميم). مثل (من يقوله) ، (من وال) ، (من نعمة) ، (من مال الله) . وتندغم بغير غنة إذا وقعت في آخر كلمة ووقع في أول الكلمة التالية لام أو راء ، مثل (من لدنه) ، (من ربه) ، وتغلب النون الساكنة ميماً إذا وقعت قبل صوت الباء في كلمة واحدة نحو (أنبئهم) وفي كلمتين نحو (أن بورك) حيث تخفى هذه النون الساكنة مع بقية الحروف نحو (لمن شاء) ، (من طيبات).

إن دراسة موقع الصوت في الكلمة يعد من أكثر الدراسات التي حظيت بالشرح والتحليل والنقد عند علماء اللغة والتجويد ، حيث إن الأصوات هي اللبنة الأساسية في بناء اللغة ولكل صوت من الأصوات صفاته الخاصة به ، إلا أن هذه الأصوات عندما تتجاوز تتأثر ببعضها وتكون عرضة للتغيير نتيجة لذلك التأثير ، والهدف من هذا التأثير هو تحقيق الانسجام والمشكلة والتوافق " إن الاعتداء بوظيفة الصوت هو صدى لما أكد هدي سوسير من أسرار الاهتمام ليس الصوت في ذاته ولكن ما ينشأ من اختلافات صوتية تتميز الكلمة في ضوءها عن سواها باعتبار أن تلك الاختلافات هي الحاملة للدلالة ، فعلى أساس هذه الأرضية النظرية اللسانية لم نجعل غايتنا تتبع الصورة التي نقلها سيبويه عن الأصوات العربية من حيث أصنافها ومخارجها وصفاتها"⁷.

بحث الصرفيون أسباب التحول عن الأصل في أبنية الكلم في اللغة العربية (التعذر، الاستثقال ، المجانسة الصوتية) ومعظم أسباب التحول التي ذكرها العلماء تقوم على أمور تتعلق بالأصوات ، أي طبيعة الأصوات التي تتألف منها الكلمة ، وتتسم هذه الروابط بالتجاذب أو التنافر وما ينتج عن ذلك الترابط من تأثير وتأثر، " الأصوات البشرية تتميز بخصائص

⁶تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990 م ، ص125.

⁷الورداني ، أحمد الورداني ، اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب. دار العرب الإسلامي ، م، ط 2004 م ، ص125.

EDITORIAL

متعددة تكوّن أسراً ومجموعات تتقارب وتتباعد طبقاً لتنوع هذه الخصائص أما بدرجة انفتاح الحاجز أو مخرج الصوت أو بصفات الصوت ، وهي مختلف الخصائص التي تصاحب قيام الحاجز²

* إن الإعلال هو مظهر من مظاهر التحول عن الأصل ويقتصر على حروف العلة فق (الصوائت الطويلة) وهي من أبرز ما يستدل به على وجود أصول مستثقلة أو متعذرة تميل العربية إلى العدول عنها واستبدال صيغ أخرى بها، " إن حروف العلة تتغير ولا تبقى على حال ، كالعليل المنحرف المزاج المتغير حالاً بحال ، وتتغير هذه الحروف بطلب الخفة ليس لغاية ثقلها بل لغاية خفتها ، وكل كثير مستثقل وأن خف"⁸

* أما الإبدال ، هو جعل حرف مكان حرف غيره ، والإبدال من أبرز المظاهر التي يتحول فيها عن الأصل بسبب التناظر بين الأصوات في صفاتها وقد أدرك القدماء ذلك فكانت تعليقاتهم في باب الإبدال كلها متصلة بصفات الأصوات " وأكثر ما يتجلى الإبدال في العربية في صيغة (افتعل) وما تصرف منها ، كإبدال الواو والياء - فاءين ، تاء وإدغامهما في تاء الافتعال نحو (اتعد) و (اتبس) فالواو والياء مجهوران والتاء مهموسة"⁹

أثر الإعلال والإبدال:-

ذكر ابن مالك حروف الإبدال التي تبدل من غيرها إبدالاً شائعاً وهي تسعة أحرف جمعها في قوله: أحرف الإبدال " هدأت موطياً" فأبدل الهمزة من واو وياء. وآخر أثر ألف زيد وفي فاعل ما أعل عينا ذا اقتفى إن هذه الحروف (هداً موطياً) التي تدخل إحداها في المفردة دون أن تؤثر في معنى المفردة نحو:

الهاء : دهدهدت - دهديت فالمعنى واحد

الدال : إدتان - أدان ، أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال في الدال.

الهمزة: أثر بهمزتين تغلب الثانية ياء فتصير - إيثار.

التاء : اصتبر - اصطبر : إذا وقت بعد حرف الإطباق.

الميم : نبأ - أنبأ - يغلب ميماً في النطق لأنها بين (أ ، ن) لأن حرف الباء بين الألف والنون ، أي إذا سبق حرف النون الباء في التركيب وسُكّن حرف النون .

الواو: سيود:- سيّد ، اجتمعت الياء ، والواو سبق إحداها السكون.

الطاء: قلب التاء طاء إذا وقعت بعد حروف الإطباق.

²لطيفة إبراهيم ، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية ، ص 108

⁹لطيفة إبراهيم ، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية ص120

⁹ابن جني، سر صناعة الأعراب

EDITORIAL

الياء : جيل - أصلها جيأل قلب حركة الهمزة إلى ياء.

الألف: باع - بيع: قلبت الألف ياء لكسر ما قبلها ، ها هي حروف الإبدال التسعة كما ذكر ابن مالك استناداً على قول علماء التصريف ، أما غير هذه الحروف فإبدالها شاذ، أو قليل وذلك كقولهم في " أصيلان " " أصيلا " حيث أبدال اللام نوناً نحو قول الشاعر:

وقفت فيما أصيلا لا أسائلها عيّت جوابا وما بالريع من أحدي

نلاحظ ، أن النون قلبت " لأمأ" في قوله (أصيلان) إن النون : " حرف مجهور شديد أما مخرجا فإنه يخرج من حافة اللسان إلى منتهى طرف اللسان وما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا" أما اللام : صفة فإنه حرف متوسط بين الشدة والرخاوة ، إما مخرجا فإنه يخرج من حافة اللسان الأمامية مع التصاقها بما يحاذيه من الأسنان.

أثر الإعلال الصوتي :

يقول عبد العزيز مطر " نحن نجد الكلمة (قول) بالقاف والواو واللام مثلها يقول: فالأحرف الثلاثة الأصول محققة ولكننا ! نجد (قال) و(مقال) بالألف بدل الواو (وقل) و (لم يقل) بدون ألف وواو ونجد قائل بالهمزة فعلى اللغوي دراسة كيفية هذه التغيرات" ¹⁰.

إن أسباب حدوث الإعلال بالأخص ترجع لشيين أساسيين: أما تأثيرها بحركة (صائت) أو إنابة حرف عن حرف أما الحركة فينظر إليها بالحرف السابق لها ، إذا كانت كسرة جيء بالياء بعدها نحو (قيل) وإذا كانت بالفتحة جيء بالألف بعدها نحو (قال) وإذا كانت بالضمة جيء بالواو بعدها نحو (يقول) وهذا بصرف النظر عن مدلولاتها سواء أكانت فعلا اسم أو مصدر.

الثاني: أن ينوب حرف عن حرف ، وذلك إذا كان الاسم أو الفعل مركب من حرفي علة أو أكثر وذلك نحو قولك: (سيّد) ومثلها (سيود) اجتمعت الياء في الياء وصارت (سيّد) ومثلها أيضا (ميّت) أصلها "ميوت" اجتمعت الواو والياء سبقت إحداهما السكون قلبت الواو ياء فصارت " ميّت" إذا التقت الواو والياء في كلمة والسابق منهما ساكن متأصل ذاتاً وسكوناً يجب حينئذ إدغام الياء في الياء" ¹¹.

إن الإبدال المعقود بين ثلاثة حروف المبدل والبديل والحرف الذي قبله ، يقول سيبويه: " سألت الخليل عن فعل (بضم العين) من (وأيت) فقال: " وُؤي" كما ترى وسألته عن فيمن خفف الهمزة فقال " أوي" كما ترى فأبدل من الواو همزة" ¹²

¹⁰ ابن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية - بيروت 2 ط 1997 م ، ص 206.

¹¹ سيبويه ، الكتاب، ص 140

¹² سيبويه ، الكتاب ، ص 141

EDITORIAL

"سمعنا أن العرب الفصحاء يجعلون الصاد زائياً" خالصة كما جعلوا الإطباق ذاهباً في الإدغام وذلك قولهم في التصدير ، التذير ، وفي القصد القزد وفي أصدرت ، أزدرت ، إنما دعائم أن يقربوها ويبدلوها وأن يكون عملهم من وجه واحد ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام ولم يجسروا على إبدال الدال صاداً ، لأنها ليست بزيادة كالتاء في أفتعل ، البيان عربي"¹³

يظهر أن أثر ذلك يرجع إلى مدى تقارب المخارج من أجل تحقيق المماثلة بين الحرفين ، أي لأن الصاد والزاي كليهما يخرجان من اللسان ، ولأن مخارج الدال والطاء والزاي والصاد والضاد لا تكاد تتعدى ثلاثة أعضاء في الجهاز النطقي (اللسان والأضراس والثنايا) مثلما اختارت العرب تفضيل بعض الصوامت لتشابه المخارج بين مبنيات الكلمة أو تشابه الصفات وذلك بغرض تسهيل عملية النطق ، أخذت نفس الاتجاه في تبديل الصائت بصائت آخر لتسهيل تلك العملية وذلك بقولهم: " إذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخففون إحداهما مثل (الرُّسُلُ ، الرُّسُلُ) لأنهم كرهوا اجتماع الضمتين كما كرهوا اجتماع الواوين في الكلمة"¹⁴

، إذاً فلا بد من الهمزة لأنه لا يلتقي واوان في أول الحرف" ومثل ما سبق إذا تتابعت الضمتان فإن العرب يخففون أيضاً لأنهم كرهوا اجتماع الضمتين كما كرهوا الواوين لأن الضمة من الواو وذلك نحو "الرَّسَل" و "العنقُ" بضم "راء والسين" في الرسل وكذلك " العين والنون" في العنق بل يضمنون الأول ويسكنون الثاني.

أما أبدال الحرف بحرف آخر يرجع إلى ما ذهب إليه الخليل في قوله (دهديت)

" كما أن دهديتي فيما زعم الخليل أن دهديت بمنزلة دحرجت ولكنه أبدال الياء من الهاء لشبهها بها وأنها في الخفاء والخفة نحوها ، فأبدلت كما أبدلت من الياء من هذه دهدوة الجهل وقالوا دهدية الجهل كما قالوا دحروجة ، يدلك على أنها مبدلة من قولهم دهدهت"¹⁵

إن دراسة الأثر الصوتي في ضوء ظاهرتي الإعلال والإبدال تنبني على مسلكين أساسيين هما:

مسلك الائتلاف – صفة وصفة أو مخرج ومخرج.

مسلك الاختلاف – صفة ومخرج أو العكس.

¹³ قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب ص 127

¹⁴ سيبويه ، الكتاب ، ص 142

¹⁵ قضية اللفظ والمعنى، ص 126

EDITORIAL

أ/ مسلك الاختلاف: يعنى به إما اختلاف المخرج بين البديل والمبدل مع توافق في الصيغة أو اختلاف في الصفة مع توافق في المخرج ومن ثم معرفة الحرف قبل المبدل إذ يجب أن ننظر للعملية من ثلاث أبعاد مثلا كلمة " دهديت" والتي أصلها " دهدت" من " ددهه" يجب أن نراعي من خلالها الآتي:

معرفة الدال – صفة ومخرج.

الحرف المبدل الهاء – صفة ومخرج

الحرف البديل – الياء – صفة ومخرج

ثم معرفة العلاقة بين الحرف المبدل والبديل (صفة ومخرج).

من جهة الائتلاف أو الاختلاف:

مثال في تتابع الواوين في الكلمة الواحدة مثل قوله (وؤي) من وأيت حيث إن الخليل أكد كراهة العرب في جمع الواوين في كلمة واحدة ، وعلى الرغم من أن سيويوه كاد يكتفي باسكراه اجتماع الواوين على أساس أنه (لا يلتقي الواوان في أول الحرف" كما قال نقلا عن الخليل علي أن نطق صوتين متتابعين من جنس واحد يحتاج إلى جهد عضلي إضافي للوصول إلى تمييز الأدائي بينهما وهما المتعدد الواحد مخرجا وصفة¹⁶. إن الاختلاف الوظيفي بين الواو والهمزة يتجلى بدرجة أولى على مستوى المخرج فما أبعد ما بين الشفتين عن أقصى الحلق ، ففي ذلك البعد حيز كاف لكي تتحرك أعضاء الجهاز النطقي بسهولة وانطلاق خلافا لما هي عليه عندما يضيق عليها في مخرج واحد لأداء حرفين متتابعين من جنس واحد..

" إن في إبدال الواو الأولى همزة توسيعا ظاهراً لمجال الأداء ومن ثم إطلاقا لعقال الأعضاء عند ممارسة الكلام ، كما يتجلى الاختلاف الوظيفي على مستوى صفتي اللين والشدة قالوا ولينته يتسع مخرجها لهواء الصوت لذلك لا تكاد تتميز عند نطق الواوين بين حدود الأولى والثانية بسبب تسرب الهواء الناتج عن الاتساع في المخرج الواحد ، حين يبدو الضغط أقوى في الهمزة لأنها تمنع أن يجري الصوت فيها فيكون في نطقها قرع بفعل أطباق الأوتار الصوتية الواحدة على الأخرى"¹⁷. إذاً إن الهمزة والواو اختلقتا مخرجا واتفقا من حيث الجهر واختلفا من حيث القوة واللين.

مثال: قولك سيد أصلها من ساد يسود سيود ، اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما السكون تقلب الواو ياء فتدغم الياء في الياء فتصير " سيّد" إن " الياء" حرف مخرجه من وسط اللسان وبينه وبين وسط الحنك الأعلى ، والواو ما بين الشفتين ، إذا اختلفتا مخرجا أما الصفة فالياء صوت مجهور لين والواو مجهور لين وصوت " السين" حرف مهموس كما الآتي:

¹⁶ قضية اللفظ والمعنى، ص140 .

¹⁷ الورداني ، أحمد الورداني ، ؟ اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب 0 دار العرب الإسلامي ، م ، ط 2004 م ، ص25.

EDITORIAL

مهموس + مجهور + مجهور + مجهور

لعل سبب إدغام الواو على الياء يرجع إلى تشابههما في الصفة

يمكن تناول ظاهرة الإبدال إذا وجدت علاقة بين الحرف البديل والحرف المبدل والحرف قبل البديل ضمن مستويين الوصف والتعليل . مثلا الياء التي أخذت المحل الصوتي لحرف الهاء في قولك (دهدهت).

الحرف المبدل الهاء:

صوت مهموس رخو . من أقصى الحلق.

الحرف البديل الياء :

صوت مجهور لين . من وسط اللسان.

نلاحظ أن العلاقة بين الهاء والياء على مستوى المخرج تبدو متباينة تماما فالبعد شديد ما بين " أقصى الحلق " وما بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى ، " لذا نجد إن الآلة الناطقة تؤدي في (دهدهت) الدال مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا إلى حرف أقرب هو مخرج الياء أي ما بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى فيتجنب المتكلم جهداً عضلياً¹⁸ حين ينتقل القاري من مخرج الدال من ظهر اللسان إلى أقصى الحلق لنطق الهاء ومن ثم نطق الدال مرة ثانية ومن ثم الهاء مرة أخرى ، نجد في ذلك تكلف في نطق المفردة وذلك تبادل مخرجين فقط كما في الجدول .

الدال	الهاء	الدال	الهاء
وسط اللسان	أقصى الحلق	وسط اللسان	أقصى الحلق

إذا لابد من إبدال الحرف الرابع ياءً لتسهيل عملية النطق ولجريان المخارج بسلاسة لأن كلما اختلفت المخارج في الكلمة سهل نطقها.

" كما يتجلى الاختلاف بين الهاء والياء على مستوى صفتي الهمس والجهر ففي الياء يكسب الصوت الجهر الذي كان يعوز الهاء فيصبح صوت الياء أشكل بصوت الدال في (دهديت) كما يجسم الجهر في الصوت الرابع من هذه الكلمة ضرباً من الاسترسال للجهر في الصوت الثالث على نحو يقطع مراوحه بين الجهر والهمس إلى حين . فقد كانت الأصوات

¹⁸ قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب، ص 129

EDITORIAL

ترتفع بالجهر لتنخفض بالهمس في (دهدت) أما في (دهديت) فقد قويت شحنة الجهر وارتفعت الأصوات بالقرع فصفت للأذان كأجلي ما تكون¹⁹

كما في الجدول الآتي :-

دهديت	مجهور	مهموس	مجهور	مهموس	مهموس
	د	هـ	د	هـ	ت
دهديت	مجهور	مهموس	مجهور	مجهور	مهموس
	د	هـ	د	ي	ت

أن التغيرات كانت منصرفة في مجملها إلى تقليص الاختلاف بين الأصوات ما أمكن لذا كان التعويل أساساً على المخارج المتقاربة خلافاً لما هو الحال في التغيرات ضمن مسلك الاختلاف، إذ كان البحث عن أكبر مظهر من الاختلاف بين الأصوات على مستوى المخارج المتباعدة تباعداً شديداً وذلك بزرع المتضادات الصوتية في بيئة الكلمة حتى يسهل على اللسان أدائها ضمن أوسع حيزٍ نطقي "أعلم أنّ التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد" سواء وقع التعويل على ما يجمع بين الأصوات أو ما يفرق فان منطلق المسلكين ائتلافاً واختلافاً منطلق واحد وهو العلاقة بين الصوت والصوت ومدى نجاح المتكلم في استثمار تلك العلاقة²⁰.

مثال: "قَصَّصْتُ" (بتشديد الصاد الأولى) قصيت، إبدال حرف الصاد الثاني ياءً، أصل الإبدال أن العرب تبدل الحرف من الكلمة بغيره إذا رأت أن في نطق الكلمة تكليف وذلك لتقارب مخارج الكلمة لأن ذلك يصعب على القارئ نطقها إلا بعد جهد شديد من قبله.

إن كلمة قَصَّصْتُ تعد من أكثر الكلمات التي تتشابه مخرجاً كما تتشابه من حيث الصفة عدا مخرج واحد هو مخرج القاف (ومسلك الاختلاف من حيث المخارج أن الحروف الأربعة في الكلمة تخرج من مخرج اللسان مع اختلافات جزئية بسيطة. نلاحظ أن حرف القاف مخرجه أقصى اللسان، والصاد طرف اللسان والتاء ظهر اللسان مع أصول الثنايا، فإن هذا التشابه يعد السبب الرئيسي الأول في إبدال الصاد الثانية ياءً، كما أن الياء هي نفسها من وسط اللسان، لكن تظهر

¹⁹قضية اللفظ والمعنى ص 144

²⁰قضية اللفظ والمعنى ص 125

EDITORIAL

ضرورة إدخال الياء ، صفة لا مخرجاً ولأنها أحد حروف الإبدال الأصلية عند العرب في عمليتي الإعلال والإبدال وعلى ذلك فإن كلمة قصصت تبدو سهلة عند إبدال الحرف الصاد الثانية ياءً كما في الآتي:

نرى من حيث الصفة :

القاف حرف مجهور شديد
الصاد حرف مهموس رخو
الياء حرف مجهور شديد
التاء حرف مهموس شديد

نلاحظ : أن نطق الكلمة حسب توزيعها من حيث الصفة أسهل بكثير من نطقها بالصاد لأن التنوع الموسيقي الصوتي أفضل من تشابه الحروف مخرجاً وصفة ، إذ أن مسلك الائتلاف في المخارج والاختلاف في الصفات حيث اختلفت صفة الصاد من صفة الياء ذلك الشيء الذي جعل العرب تبدل الصاد ياءاً لتيسير عملية النطق حتى لا تتضارب المخارج .

إن دراسة الأصوات في ضوء الإعلال والإبدال يعني به معرفة سر تغيير الحرف بحرف آخر من ناحية المخرج أو الصفة بمتجاوراته من الأصوات.

يقول الجرجاني : " تعرف الصراط والزراط وأشباه ذلك مما لا يعدو علمك فيه اللفظ وجرس الصوت والأصل فيما (الصراط) بالسين أبدلت صاداً لأجل الطاء المطبقة ، و زايّاً لمقاربتها الطاء في المخرج وقد قرئ (في القرآن) بجميع ذلك (صراط ، زراط ، سراط) ولا يرسم إلاّ بالصاد والكلمة رومية الأصل "21.

الملاحظ : أن أثر صوت الطاء في الكلمة أدى إلى تغيير بنية الكلمة الأساسية التي جاءت بها وهي حرف السين، لأن صوت الطاء حرف مجهور أما السين فحرف مهموس ولأن حرف الطاء المجهور مفخم والسين لا يفخم وأن فُخم صار صاداً وشتان ما بين حروف التفخيم وحروف الترفيق ، أما الزاي فحرف مخرجه قريب من مخرج الطاء ، إن هذه الظاهرة تطلق عند أهل اللغة بالألفون وهي إكساب الحرف الواحد ألوان مختلفة من الأصوات تأثراً بمتجاوراته .

مثال إبدال التاء دالا في (افتعل) إذا كانت بعد (زاي) أو (دالا) أو أحد حروف التفخيم والإطباق (ص ، ط ، ظ ، ض)

"أما الدال فتبدل من التاء في أفتعل إذا كانت بعد الزاي نحو " ازدجر " والتي كان أصلها أزتجر أبدلت التاء دالاً وذلك لما كان من توافق بينهما في المخرج"22.

²¹عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص 99

²²ابن جني ، سر صناعة الاعراب ، ص 23-24 .

EDITORIAL

يبدو أن الإبدال مقصور بين حروف ثلاثة ، المبدل والبديل والحرف قبل المبدل ، لذلك أمكن التوقف في إطار هذه العلاقة الثلاثية عند جانبيين على قدر في الأهمية جانب الإبدال في ذاته وجانب العلاقة .

الحرف البديل	مخرجه	صفته
الذال	ما بين طرف اللسان وأصول الثنائيا	مجهور
التاء	ما بين طرف اللسان وأصول الثنائيا	مهموس
الحرف الذي قبله الزاي	ما بين طرف اللسان وفوق الثنائيا	الجهر

إن هذه الحروف الثلاثة اتفقت مخرجاً حيث أنها تخرج من طرف اللسان لكنها اختلفت صفة . سبب ابدال التاء دالا يحسب البعض أن السبب هو مجاورتها الزاي في افتعل دون معرفة الأثر الناتج عن ذلك من حيث المخرج أو الصفة .

الكلمة قبل التبديل ازتجر

الزاي حرف مجهور التاء حرف مهموس

الكلمة بعد التبديل

الزاي مجهوره + الذال مجهورة - التاء مهموسة

" أن التطابق بين (التاء) من جهة وبين (الذال والطاء) من جهة أخرى يكاد يكون عاماً لولا سمة مميزة حالت دون ذلك لما عاد للعلاقة الخلافية معنى وتلك السمة المميزة هي (الجهر)¹ فالتطابق حصل بوحدة المخرج أما التخالف فتجسد بالتباين بين الحرفين من حيث الصفة .

مثال : اصطبر - اصتبر + أن عملية الإبدال صدرت عن الح@@رف السابق للبديل وهو " الصاد " لأن الصاد حرف مطبق مفخم ، تأثرت التاء بتفخيم الصاد فصارت " طاء " وإن كانت هنالك رؤية صوتية دقيقة في عملية الإبدال علاقة البديل بالمبدل .

الحرف البديل	مخرجه	صفته
--------------	-------	------

¹ابن جني ، سر صناعة الإعراب ص130

EDITORIAL

الطاء	ما بين طرف اللسان واصول الثنايا	الجهر
التاء	ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا	الهمس
الحرف الذي قبله الزاي	ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا	الجهر

إن هذه الحروف الثلاثة اتفقت مخرجا حيث إنها تخرج من طرف اللسان لكنها اختلفت صفة ، سبب إبدال التاء دالاً بحسب البعض أن السبب هو مجاورتها الزاي في افتعل دون معرفة الأثر الناتج من ذلك من حيث المخرج أو الصفة .

الكلمة قبل التبديل ازتجر

الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس

الكلمة بعد التبديل

الزاي مجهورة - الدال مجهورة - التاء مهموسة فصارت اذجر

" أن التطابق بين (التاء) من جهة وبين (الدال والطاء) من جهة أخرى يكاد يكون عاماً لولاء سمة مميزة حالة دون ذلك و إلا لما عاد للعلاقة الخلاصة مع مضي تلك السمة المميزة هيالجهر " ¹.

فالتطابق حصل بوحدة المخرج أما التخالف فتجسد بالتباين بين الحرفين من حديث الصفة .

مثال: اصطر - اصتبر - أن عملية الإبدال صدرت عن الحرف السابق للمبدل وهو الصاد لأن الصاد حرف مطبق مفخم ، تأثرت التاء بتفخيم الصاد فصارت " طاء " وإن كانت هنالك رؤية صوتية دقيقة في عملية الإبدال وهي مدى بصارة العرب على إمكانية تغيير حروف المفردة دون تأثير في معنى المفردة حتى يسهل على آلة النطق نطق الكلمات بسلاسة ويسر .

علاقة البديل بالمبدل :

الحرف البديل	مخرجه	صفته
الطاء	ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا	الجهر

¹توزار حسن : المنهج الوصفي في كتاب سيويه ص120

EDITORIAL

التاء	ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا	الهمس
-------	---------------------------------	-------

إن قلب تاء (اصتبر) طاءً يرجع إلى عامل آخر يتجاوز المخرج وصفة الهمس إلى حركة اللسان من خلال صفتين آخرين هما الإطباق والانفتاح ، " إن الصاد التي تسبق التاء في (اصتبر) حرف مطبق خلافاً للتاء المنفتحة فلما كان المتكلم يطبق لسانه عند النطق والصاد كان لابد وفق مبدأ التسهيل من حرف مطبق مخرجه قريب من حرف التاء وذلك ليقع في تفادي فتح اللسان بعد إطباق والحرف هو الطاء "23.

خلال الأمثلة السابقة توقف الباحث عندها في إطار رسم العلاقة بين الصوت وأثره في المفردة مراعيًا مبدأ الانسجام الصوتي وذلك من خلال اهتمامه بظاهرة الإبدال الهادف إلى أداء الأصوات على نسق واحد بصرف النظر عن مسلك ذلك الانسجام وهو اختلاف أم انتلاف " اللفظ النموذج هو ما صفت حروفه وسهل على اللسان أدائه وعلى الأذن التقاطه ففي هذه الرؤية اهتم سيويه بالتوافق الصوتي باعتبار أن الحرف قد يكون أكثر موافقة صوتية لغيره من سواه "24، " كما أهتم بالمضارعة التي راعى فيها سبباً مباشراً في خلق تعادلية بين الانتلاف والاختلاف الصوتيين في سلسلة الكلام إذ بالمضارعة يتحول الجفاء بين الحروف إلى انسجام²⁵، إن هذا الطرح الدقيق للعلاقة بين الأصوات انتلافًا واختلافًا يتنزل ضمن اهتمام العرب بإيقاع اللفظ " الإيقاع : هو تردد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مدى متشابه "3. إن تجانس الجمل من تجانس الكلمات وتجانس الكلمات من تجانس الحروف لذا ألحّ الباحث على طريقة نبذ الثقل عند العرب وانتصار الخفة في كلامهم مراعيًا قاعدة المجهود الأدنى وما وجد إلى ذلك سبيل .

العلاقة بين النون والباء :-

" لإن نظرنا في إبدال النون ميمًا في المستوى الأول من العلاقة ضمن حرفي النون والميم وما يجمعهما من وشائج انسجام خارج بيئة الكلمة أو تلك (شمباء / انباء / انبساط) فإن طرح الإبدال في صلته بالباء التي تعقب الحرف المبدل أو البديل يتنزل ضمن اتجاه يراعي فيه سياق الصوامت ، وما يمكن أن يقتضيه تجاوزها من تغيرات تكون في خدمة الأداء الصوتي "26

الحرف	المخرج	الصفة
-------	--------	-------

²⁴ قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب ، ص 145

²⁵ المرجع السابق ص 145

³ جان كانتينو: دروس في علم الأصوات العربية ، ص 197

²⁶ قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب ، ص 145

EDITORIAL

النون	من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما يلها من الحنك الأعلى	مجهور شديد يجري معه الصوت ، لأن ذلك الصوت غنّه
الباء	ما بين الشفتين	مجهور شديد وهو الذي يمنع الصوت أن تجري فيه

يتضح إذن أن ما يفرق بين النون والباء أقوى مما يجمع وذلك من خلال تباعد المخرجين إضافة إلى جريان الصوت عبر الأنف في النون وامتناعه في الباء ، ويعود الأمر بعد ذلك إلى المنزلة الصوتية الخاصة للنون ، لذلك كان لابد من حرف يزيل ذلك الجفاء بين النون والباء ويكون فيه شئ منهما معاً ، وذلك هو الميم لأنه يجمع بين ما تفتقر إليه الباء في آن واحد فالنون بعيدة عن الباء مخرجاً في حين يجمع الميم والباء مخرج واحد (الشفتين) - والباء حرف شديد يمنع الصوت أن يجري فيه أما الميم فحرف يجري معه الصوت من الأنف وهو الغنة على غرار النون .

إذن العلاقة بين النون والباء كالاتي :-

اجتمعت النون والباء مخرجاً واختلفتا صفة بينما اجتمعت النون والميم من حيث جريان الصوت في الخياشيم بغنة ومنعه في حرف الباء . لذا نجد أن حرف الميم هو القاسم المشترك بين الباء والنون في الأمثلة السابقة " يعبر الحرف الذي يقاسم قرينة الخصيصة الأدائية .(موافقه الصوتي) الحقيقي بأن يحل محله عمودياً لضمان الانسجام أفقياً على نحو" ما رأينا في الميم التي هي موافق صوتي للنون والباء معاً"¹ .

" فالقضية هي قضية الأداء الصوتي لذا قال سيويه : (إمام النحاة) فجعلوا ما هو من موضع ما ما وافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع"²⁷

العلاقة بين النون والميم :-

إن العرب غالباً ما تجعل النون ميماً ولم تجعل النون باء كما أوضحنا من قبل في عملية إبدال النون ميماً وذلك لمجاورته الأصوات التي تلزم نطق النون ميماً والأسباب أخرى تراعي من خلال مخرج الصوت وصفته .

مسلك الاختلاف :-

¹جان كانتينو: دروس في علم الأصوات العربية ص 137

²⁷سيويه ، ص 146

EDITORIAL

إن هذين الحرفين من حيث المخارج اختلفا في المخارج حيث أن النون تخرج " من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى و فوق الثنايا"²⁸ أما حرف الميم فخرج ما بين الشفتين إذاً يتضح إبدال النون ميماً لا يعود إلى التقارب مخرجاً لأن المخرجين متباعداً كما هو بين .

مسلك الائتلاف :-

إن حرف النون من حيث صفته " مجهور حرف أتبع بالاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليها مجرى الصوت فهذه حالة المجهور في الحلق والفم إلا أن النون والميم فيعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة والدليل على ذلك إنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما"²⁹ أما حرف النون " فهو حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف وإنما متخرجه من انفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم"³⁰ يتضح أن إبدال النون ميماً يعود إلى تماثلها في الصفة فالنون والميم يمتلكان تقريبا صوتاً واحداً ، لأنهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون لأنهما اشتبهتا في صفتيهما من الخيشوم . " إن الغنة جامع صوتي قوي صهراً بين الحرفين في أداء صوتي واحد يدل على احتكام سيبويه إلى الصورة السمعية للكلمة ألا ترى وأنت تنطق (عنبر) (عمر) أنك تعدم الفرق ظاهراً بين النون والميم وقد غشاها صوت خيشومي واحد ، حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون"³¹

نموذج لظاهرة إبدال النون ميماً قولك :

- 1- (مما) فإنها مركبة من (من ، ما) تماثلت صفة النون والميم ، فأبدلت النون ميماً ، فأدغمت الميم في الميم فصارت " مما "
- 2- (إمّا) ، (أمّا) أصلهما (إن ، ما و) (أن ، ما) أبدلت النون ميماً لشيئهما ، صفة من حيث الغنة والجهر .
- 3- (ألا) - (عمّا) أصلها ، (أن لا) ، (عن ، ما)

²⁸ المرجع السابق نفسه ، ص 138

²⁹ سيبويه ، ص 434

³⁰ نفسه ، ص 435

³¹ صفة اللفظ والمعنى ، أحمد الورداني، ص 134

EDITORIAL

والعلة من ذلك يرجع إلى قول سيوييه (أمام النحاة) " لأن صوتهما واحد ، وهما مَجهورات قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت حتى إنك تسمع النون كالميم والميم كالنون حتى تتبين فصارت بمنزلة اللام والراء وإن كان المخرجان متباعدين إلا أنهما اشتبها لخروجهما جميعاً من الخياشيم"³²

الأثر الصوتي في التركيب الصرفي :

مثلاً تلعب الصوامت دوراً في عمليتي الإبدال والإعلال فإن ذلك الذي تعلبه الصوائت في بنية الكلمة سواء أكان في وسط الكلمة نحو " سيّد وميت " أو في آخر الكلمة نحو قوي ورضي ، أو في الجمع نحو قضايا ، خطايا ، أو جموع المبالغة نحو حقائق ، " حقيقة ، وكنيسة "

مثال ما كان وسطه حرف علة " سيد " ميت " كما بينا في الصفحات السابقة أن " سيّد " أصلها " سيود " اجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما السكون فصارت ياءً فأدغمت الياء في الياء فصارت (سيّد) ومثلها ميّت ، ترى أن المؤثرة فيها هو علامة السكون .

مثال : ما كان . آخره حرف علة نحو " رضى وقوى "

أصلها " رضو " لأنها من الرضوان فالواو أصل في الكلمة أبدلت الواو ياء لأن ما قبلها مسكور ، فتأثرت حركة الضاد على الواو فقلبت ياء فصارت " رضى ومثلها قوي ، طوي ، لوي " من قويت ، لويت ، طويت مثال : ما كان لامه حرف علة " ياء " مثل " قضايا " أصلها قضايي - بيايين ياء " فعيلة " والثانية لام قضية ثم أبدلت الأولى همزة ، لأنها وقعت بعد ألف " مفاعل " فصارت قضائي ، بكسر همزة " مفاعل " ثم قلبت كسرة همزة فتحة فصارت قضائي تحركت الياء وأنفتح ما قبلها تقلب الياء " ألف " فصارت قضاء ، اجتمعت شبه ثلاث الفات في الكلمة وهذا مستكره عند العرب فقلبت همزة ياءً فصارت " قضايا " ومثلها مطيئة ، خفيّة ، وخطيئة .

مما سبق نلاحظ أن الحركات (الصوائت) لعبت دوراً في تحويل الصيغة من الثقيل إلى الخفيف حتى يسهل للقارئ نطقها دون تكلف واجتهاد عضلي لخروج الحرف من مخرجه الصحيح بسلاسة ويسر وسهولة .

الخاتمة :

حاولت هذه الدراسة أن تضع تصوراً واضحاً ومفصلاً للأصوات اللغوية ودورها في عملية تركيب الكلمات ، وتأثيرها وتأثرها بمتجاوراتها ، عندما تتجانس وتأتلف مع بعضها وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها :

EDITORIAL

1. إن الصوت اللغوي هو الفيصل الأول في تحديد قيمة المفردة من حيث المعنى والمبنى .
 2. تعد ظاهرة تشابه مخارج الأصوات من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى الاستئقال في المفردة .
 3. وضوح المفردة ينبني على الميل إلى التجانس والانسجام في الأصوات ، لأن النسيج الصوتي يقوم على هذين الظاهرتين (التجانس والانسجام) .
 4. بيان أن ظاهرتي الإعلال والإبدال تعودان إلى أصول صوتية ، قائمة على معرفة مخارج الحروف وصفاتها .
- ومن أهم التوصيات :
5. الوقوف على جهود العرب القدماء لمعرفة أثر الدراسات الصوتية في المفردات العربية .
 6. معرفة كيفية ائتلاف الكلمات واختلافها ، ثم معرفة العوامل المؤثرة التي أدت إلى ائتلافها أو اختلافها .
 7. ضرورة دراسة مخارج الأصوات وصفاتها ، لمعرفة الظواهر الصوتية (النبرات والمماثلة والإتباع) التي تلحق بالكلمة .

EDITORIAL

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. د. أحمد الورداني ، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7 هـ / 13 م ، دار الغرب الإسلامي ط12004 م .
2. الأنطاكي ، محمد ، المحيط في أصوات العربية ونحوها و صرفها ط3 ، دار الشرق العربي ، بيروت
3. أنيس إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ط3 ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1937 م
4. ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط3 ، الهيئة العامة للكتاب 1988 م
5. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط3 ، دار علم الكتب ، القاهرة 1998 م
6. سيوييه ، أبو بشر عمر بن عثمان ، الكتاب ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة عالم الكتب بيروت ، ط3 1983 م
7. عمر ، عمر أحمد مختار ، دراسة الصوت اللغوي ، عالم الكتب بيروت ط2 ، 1981 م
8. عبد العزيز مطر ، علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح ، دار قطر بن الفجاءة 1985 م
9. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الأعجاز ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة مصر 1961 م
10. عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق عبد السلام محمد أمين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط2 ، 199 م .
11. كانتينو، جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية ، تحقيق صالح القرماضي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية 1966 م
12. كولماس، فلوريان ، اللغة والاقتصار، ترجمة أحمد عوض ، مجلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت عام 2000 م
13. لطيفة إبراهيم النجار ، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها ، دار البشير ، ط1 ، 1994 م
14. نورزاد حسن أحمد ، المنهج الوصفي في كتاب سيوييه ، بنغازي منشورات جامعة قاريونس ، ط1 ، 1996 م